سلسلة بينات من الذكر الحكيم (٣)

السعر 5 ريال

بِرُّ ٱلوَالِدَيْنِ فِي ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيمِ

مَرَاتِبُ بِرِّ الوَالِدَيْنِ

وَبِرُّهُمَا بعد وَفَاتِهِمَا

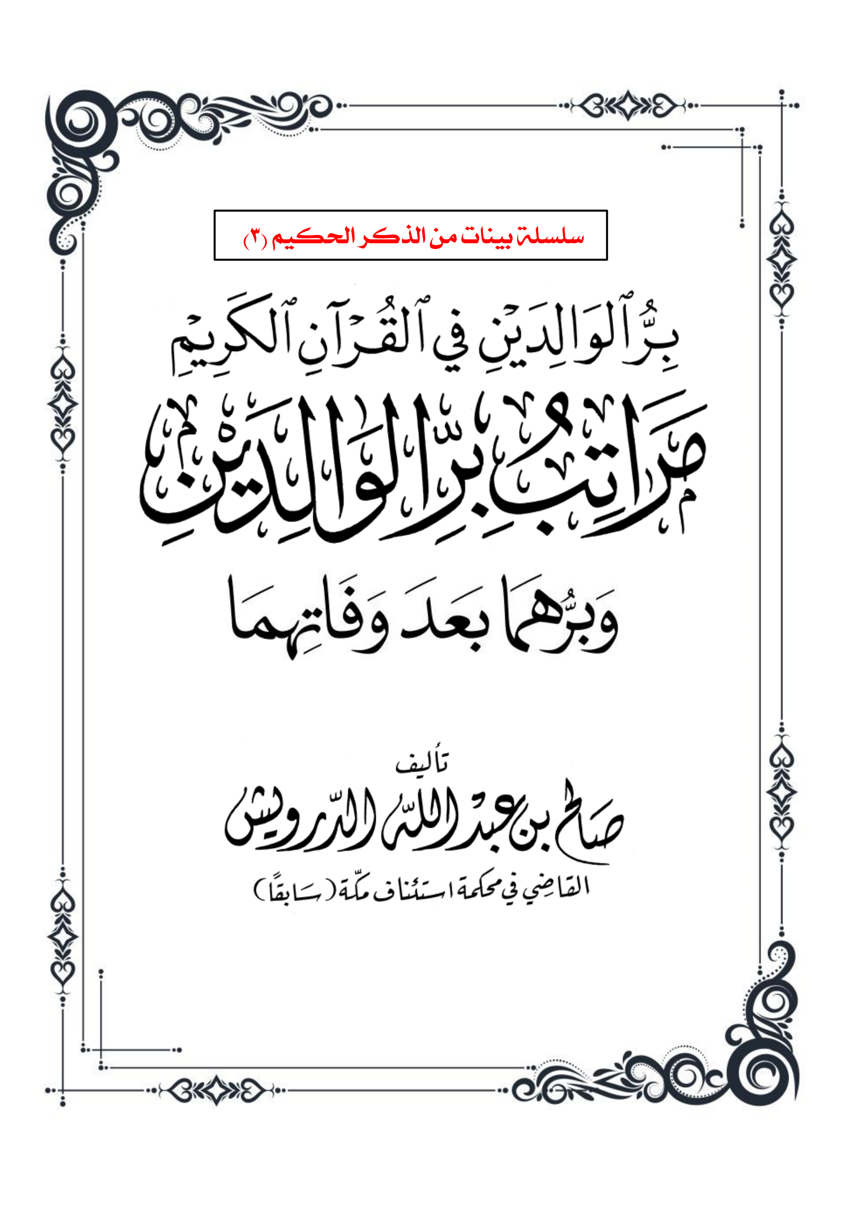
تأليف

صالح بن عبد الله الدّرويش

القاضي في محكمة استئناف مكّة (سابقًا)



الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة



سلسلة بينات من الذكر الحكيم (٣)

بِرُّ الوَالِدَيْنِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

مَرَاتِبُ بِرِّ الوَالِدَيْنِ

وَبِرُّهُمَا بعد وَفَاتِهِمَا

تأليف

صالح بن عبد الله الدّرويش

القاضي في محكمة استئناف مكّة (سابقًا)



ح دار العقيدة للنشر والتوزيع ، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدرويش، صالح بن عبد الله بن عبدالكريم

بر الوالدين في القرآن الكريم - مراتب بر الوالدين. / صالح بن عبد الله بن عبدالكريم الدرويش. ط٢ - الرياض ، ١٤٤٥هـ

٦٤ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩-٧٥-٨٣٧٠-٦٠٣-٩٧٨

١- بر الوالدين ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٢,٥ ١٤٤٥/١٨٠٥٢

رقم الإيداع: ١٨٠٥٢ / ١٤٤٥

ردمك: ٩-٧٥-٨٣٧٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٤٥

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فيسُرُّني أن أخاطب الجميع، وأعتَذِر لكلّ من طَلَب زيادة التفصيل في مباحث هذا الكُتَيِّب فأنا حريص على الاختصار وسُهُولة العبارة، والكُتَيِّب موجَّهٌ إلى الجنسين من الأبناء والبنات المُكَلّفين؛ سواء ذُكِرُوا في السياق بلفظ الأولاد أو الأبناء أو البنات أو الفتى أو الفتاة.

وقد قمت بتصحيحاتٍ طفيفةٍ في هذه الطبعة الثانية، مع زيادة المبحث في التحذير من العقوق، وأسأل الله عزوجل أن يجعله عملاً صالحاً مُتَقَبّلاً.

اجعلها على لسانك دوما:

رب اغفر لوالدي

وارحمهما كما ربياني صغيرا

تمهيد

أكّد اللهُ الوصيةَ بالوالدين في كتابه، وجعل ذلك من أصول البِرِّ، وهو من أهمِّ الواجبات وأعظمِ الفرائض من فجر التاريخ الإسلامي.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾[مريم:١٢-١٤].

وقال عيسى عليه السلام، وهو يتحدث عما خلقه الله ﷻ عليه: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[مريم:٣٠]، ثم ذكر ما جبَلَه الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[مريم:٣٢].

وهناك ثلاثُ مراتبٍ في بِرّ الوالدين، كما هو ظاهر في نُصُوص الآيات الواردة في البِرّ بهما، **فأعلاهَا مَرتَبَةُ الصحبةِ بإحسانٍ**، والآياتُ فيها كثيرةٌ، وهي ثابتةٌ في الشرائع السَّابقة وقد أَخَذ اللهُ عليها ميثاقَ بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[البقرة:٨٣]،

وقَرَنَ اللهُ بين حَقِّه بالتوحيد وَحَقِّ الوالدين بالإحسان ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[النساء:٣٦] ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[الأنعام:١٥١] ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥].

وذكر اللهُ صُوَراً من الإحسان بالوالدين فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء:٢٣-٢٤]، وسيأتي الشرحُ المُفَصَّل لذلك إن شاء الله.

والمرتبةُ التي هي أدنى منها مرتبةُ الشُّكر، وهي مرتبطةٌ بالمنافع الدنيوية التي قدَّماها لك في مراحل عُمُرِك؛ منذ حَمْل الأم والنفقة والتربية والحماية والرعاية؛ سواء كانوا مسلِمين أو كفاراً، وهي مَرْتبة رَدّ الجميل والشعورِ النفسي بِعِظَمِ المنافع الدنيوية التي قَدَّماها لك في صِغَرِك؛ فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان:١٤] وهذه

المرتبةُ لا يمكن الوصول إليها إلا بعد تحقيق المرتبة الدنيا.

وأدنى هذه المراتب: الصحبةُ بالمعروف في الدنيا، مع عدم اتِّبَاعِهِما وعدم طاعَتِهِما فيما يأمرانِك ويُجاهِدَانك به من معصيةٍ ومنكرٍ وشركٍ وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[العنكبوت:٨] وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[لقمان:١٥].

والمقصود أن البرّ مراتِبٌ ودرجاتٌ، والجزاءُ من جِنْس العمل ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾. وبِرُّ الوالدين مَيدانٌ شاسِعٌ تتفاوت فيه منازل البَرَرَة.

الترغيب في برّ الوالدين

أورد الإمام ابنُ مفلح في الآداب الشرعية عن الإمام أحمد أنه سُئِل عن بِرّ الوالدين فقال: (واجبٌ، ما لم يكن معصيةٌ).

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: (ومُقْتَضَى قوله - أي: الإمام أحمد- أن يَبَرّ في جميع المباحات، فما أمراه ائْتَمَر وما نَهَيَاه انتهى، وهذا فيما كان فيه منفَعَة لهما ولا ضَرَر عليه فيه ظاهر، ...فإنا جوَّزنا للوالد أخْذَ مالِ وَلَدِه ما لم يَضُرّه، فَأَخْذُ منافعه كأَخْذِ ماله، وهو معنى قوله ﷺ: «**أنت ومالُك لأبيك**»)[1].

فالواجب على العبد أن يَبَرّ بوالديه، ويحرص على الترقي في البِرّ، ويسعى سعياً حثيثاً بأن يسبق غيره في ذلك، فيَنْهَلَ من هذا المِنْهَل العظيم، والكنز الذي لا يُقَدّر بثمن، ويكسبَ الأجور العظيمة من الله تعالى، وينالَ بذلك دخول الجنة.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٤٦٣)، زاد المسافر (٤/ ٥٥٤).
والحديث في سنن أبي داود (٣/ ٢٨٩) برقم (٣٥٣٠)، سنن ابن ماجه (٢/ ٧٦٩) برقم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني.

وقد اعتنى العلماء بذكر النصوص الشرعية الدالة على بِرِّ الوالدين؛ فقَلَّ أن تجد مصنَّفًا في الحديث إلا وفيه تبويبٌ عن برِّ الوالدين وفضله[١]، ومن أمثلة ذلك ما بَوَّبَ به الإمام البخاري رحمه الله فقال: "باب قول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت:٨]"، وقال أيضًا: "بابٌ لا يجاهد إلا بإِذن الأبوين"[٢]، وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله قال: "بابُ بِرّ الوالدين وأنهما أحق به"[٣]، وقال: "بابُ رَغِمَ أَنْفُ من أدرك أبويه أو أحدهما عند الْكِبَرِ، فلم يَدْخُلِ الجنة"[٤]، كما ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره أدلةً وأحاديثَ كثيرةً على بِرّ الوالدين[٥]، منها قوله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُه، ثم رَغِمَ أَنْفُه، ثم رَغِمَ أَنْفُه**». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند**

---

(١) ومن الكتب المصنفة المفردة في هذا قديماً كتاب (بر الوالدين) لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله، وحديثاً كتاب (بر الوالدين – مفهوم وفضائل، وآداب وأحكام في ضوء الكتاب والسنة) للدكتور: سعيد بن علي بن وهف القحطاني رحمه الله.

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٢).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٤).

(٤) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٨).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ٦٠).

الْكِبَرِ؛ أحدهما أو كليهما، ثم لم يَدْخُلِ الجنة»[(١)].

وروى الترمذي نحوه: «**رَغِمَ أَنْفُ رجلٍ ذُكِرتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيّ، ورَغِمَ أَنْفُ رجل أدرك عنده أبواه الْكِبَرِ فلم يُدخِلَاه الجنة**»[(٢)].

والابن والبنت مطالبان بالسعي الحثيث لِينْهلا من هذا الكنز الذي لا يُقَدَّر بثمنٍ في بِرّ الوالدين، والنَّيْل من بركة دعائهما من قلبٍ مشفقٍ أو مخبتٍ.

وقد سُئِل رسول الهدى ﷺ: أيُّ الأعمال أحبُ إلى الله تعالى؟، فقال ﷺ: «**الصلاة على وقتها**»، قال السائل: قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بِرّ الوالدين**»، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» متفقٌ عليه[(٣)].

وقال ﷺ: «**ففيهما فجاهد**»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٨) برقم (٢٥٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٥٠) برقم (٣٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٥٦) برقم (٧٥٣٤)، صحيح مسلم (١/ ٩٠) برقم (٨٥) واللفظ له، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٥٩) برقم (٣٠٠٤)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٥) برقم (٢٥٤٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وأمر رسول الله ﷺ ذاك الذي أراد أن يجاهد في سبيل الله بأن يرجِع ويَدَعَ الجهاد، وقال له: «**الْزَم رِجْلَها، فَثَّم الجنة**»[(١)]، وهذا أصح من الحديث المشهور: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[(٢)].

وبيَّن ﷺ فقال: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فأَضِع ذلك الباب أو احفظه**»[(٣)]، وينبغي نشر هذا الحديث فهو غير مشتهر بين الناس.

فيا له من توفيق من الله تعالى لك -أيها الفتى- حين تُصَرُّ على بِرّ أبوَيك والإحسانِ إليهما؛ حتى تَفِيْضَ مشاعرهما أو أحدهما بالدعاء لك بخيري الدنيا والآخرة.

أيها الابن البارُّ والبنت البارَّة! هذا كنز عظيم، ينبغي أن

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٩٢٩) برقم (٢٧٨١) عن معاوية بن جاهمة السلمي رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٢) القضاعي في مسند الشهاب برقم (١١٩)، والخطيب في (الجامع (٢/ ٢٣١)، انظر: ضعيف الجامع الصغير رقم (٢٦٦٦).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣١١) برقم (١٩٠٠)، سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٠٨) برقم (٣٦٦٣) واللفظ له، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني.

تحرصا عليه، وهو استِجْلاب الدعاء من قَلْب الأب أو الأم، دعاءَ المحب المُشْفِقِ، المسرورِ بِبِرِّك، وكَمْ من والد دعا لولَده فرفع اللهُ ولدَه ببركة دعائِه له.

قال ﷺ: «**ثلاثُ دعوات يُسْتَجَاب لهن؛ لا شك فيهن: دعوةُ المَظلوم، ودعوةُ المُسَافر، ودعوةُ الوالد لولده**»[(١)]. قال زين الدين المُنَاوِي رحمه الله: (لأنه صحيح الشفقة عليه، كثير الإيثار له على نفسه؛ فلما صَحَّت شَفَقَتُه أُجِيْبَت دعوتُه، وإذا كان الوالد كذلك فالأم أولى)[(٢)].

وقد عُلِم من خلال تجارب الحياة كثرةُ استجابةِ دعاء الوالد لولده أو ذريته، حين يكون عن إشفاقٍ وإِخباتٍ للقلب فَرَحًا وسُرُورًا؛ لأنه دعاءٌ من قلبٍ صادقٍ غير لاهٍ.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧٠) برقم (٣٨٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٦٨).

التحذير من عقوق الوالدين

لم يَكْتَفِ رسول الهدى ﷺ بالترغيب في بِرّ الوالدين فحسب، بل حذَّر أَشَدّ التحذير من العُقُوق.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أُنبِّئُكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله، وعُقُوق الوالدين - وجلس وكان مُتَّكِئًا فقال: - ألا وقول الزور**»، قال: فما زال يكرِّرُها حتى قلنا: لَيْتَه سكت(١).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله حَرّم عليكم: عُقُوق الأمهات، وَوَأْد البنات، ومنعَ وهات، وكَرِه لكم قِيْل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراك الله، وعقوق الوالدين، وقتل النّفس، واليمين**

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٧٢) برقم (٢٦٥٤)، صحيح مسلم (١/ ٩١) برقم (٨٧).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢٠) برقم (٢٤٠٨)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٤١) برقم (٥٩٣).

الغموس»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العَاقّ لوالديه، والمرأة المتَرَجِّلَة، والدَيُّوث، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمُدمِن على الخمر، والمَنَّان بما أعطى**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رِضَا الرّب في رِضا الوالد، وسَخَط الرّب في سَخَط الوالد**»(٣).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة عاقّ**»(٤).

وبَيَّن ﷺ أن من الكبائر، أن يَسُبّ الرجلُ أباه أو أمه، وقد استغرب الصحابة من ذلك، فقالوا: كيف ذلك يا رسول

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٣٧) برقم (٦٦٧٥).

(٢) سنن النسائي (٥/ ٨٠) برقم (٢٥٦٢)، وصححه الألباني.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٦٨) برقم (٧٢٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٥٨) برقم (٣٥٠٦).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ٤٩٣) برقم (٦٨٩٢)، مسند أبي داود الطيالسي (٤/ ٥٢) برقم (٢٤٠٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٨٠) برقم (٦٧٣).

الله؟! فبَيَّن بأن الرجل يَسُبَّ أبا الرجل، فذاك يرُدّ عليه فيَسُبّ أباه، فيكون هو سبباً في سبِّ الناس لأبيه.

قال ﷺ: «**من الكبائر شَتْم الرجل والديه». قالوا: يا رسول الله! وهل يَشْتُم الرجلُ والديه؟ قال: «نعم؛ يَسُبَّ أبا الرجل فيَسُبَّ أباه، ويَسُبَّ أمَّه فيَسُبَّ أمَّه**»[(١)].

فالسبب في لعن والده هو اعتداؤه بلعن والد خصمه، فجعل ﷺ الوِزْر في هذا على الذي بدأ باللَّعن وتسبب في لَعْنِ الناسِ لوالديه. نسأل الله العافية والسلامة.

فانظر كيف نبه ﷺ على أمورٍ دقيقةٍ قد يغفَل عنها كثير من الناس في علاقاتهم مع والديهم[(٢)].

وتأمل أنه قد يتكرر العقوق في المجلس الواحد مراراً؛ مثل أن تُنادِيك أمُّك وأنت تسمع ولا تُجِيب؛ لأنك مُنْشَغِل بالجوال، أو تُنادِيك وتجيب ولكن لا تحضُر، مما يدل أن

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٣) برقم (٥٩٧٣)، صحيح مسلم (١/ ٩٢) برقم (٩٠)، واللفظ لمسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) ومن الكتب المصنفة في هذا: كتاب (عقوق الوالدين- أسبابه، مظاهره، سبل العلاج) لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد حفظه الله.

قضاء حاجتها من آخر اهتمامك.

وقد نَقَل النووي رحمه الله إجماع العلماء على أن العُقُوق من كبائر الذنوب. قال رحمه الله: (أجمع العلماء على الأمر بِبِرّ الوالدين، وأن عُقُوقَهما حرام من الكبائر)(١).

وقد يَصِل العُقُوق من بعض الأبناء إلى حَدِّ الدعاءِ عليه من أبويه، وذلك من أعظم الخُذلان، وقد ورد في لفظ التِرْمِذِي لحديث الدعوات المستجابات -السابق ذكره- قال: «**ودعوةُ الوالد على ولده**»(٢).

إن خُطُورة دعوة الوالد على ولده تَكْمُن في أنها مستجابةٌ؛ حتى ولو كان الولد صالحًا، كما في قصة جُرَيْج الراهب. قال ﷺ: «**...وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جُرَيْج، كان يصلي، جاءته أمه فَدَعَتْه، فقال: أُجِيبُها أو أُصَلِّي؟ فقالت: اللهم لا تُمِتْه حتى تُرِيَه وُجُوْه المُوْمِسات، وكان جُرَيْج في صَومَعَته، فتَعَرَّضت له امرأة وكَلَّمَته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: مِن جُرَيْجٍ، فأتوه فكسروا**

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٤).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣١٤) برقم (١٩٠٥) وحسَّنه.

صَومَعَته وأنزلوه وسَبُّوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صَومَعَتك من ذهبٍ؟ قال: لا، إلا من طينٍ»(١).

وكم من أب أو أم احترَّ قلبهما من عُقُوق ولدهما، أو لحق بأبيه أو أمه هَمّ أو غَمّ أو غَيْظ؛ بسبب تصرفات هذا الابن العاقّ؛ فدَعَوا عليه من قلوب حَرَّى؛ فاستجاب الله تعالى دعاءَهما، فوقع عليه بلاءٌ عظيمٌ، وما قصة عبد الله بانعمة رحمه الله عنا ببعيد؛ حين كان يدخن وهو يعلم أن أباه لا يرضى بذلك، فلما سأله أبوه وقد وجد منه ريح الدخان: هل تدخن؟ فقال: لا والله لا أدخن؛ وحلف اليمين الكاذبة، فقال له والده: اللهُ يكسِر رقبتك إن كنت كاذبًا، ثم انصرف ثم عاد والدُه إليه لصلاة الفجر ليُوقِظَه؛ فأبى أن يقوم حَنَقًا منه على أبيه حين قال له ما قال، وفي اليوم التالي ذهب للمدرسة ثم هَرَب منها مع أصحابه إلى المسبح وقفز في الماء فسقط على رقبته فكُسِرت، وعَجَز الأطباء عن علاجه، وأصيب بالشلل التام والإعاقة الدائمة، ثم ندم وتاب وأصلح الله أحواله، وأصبح

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٦) برقم (٢٥٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من الدعاة إلى الله تعالى المشهورين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجعله الله عَزَّ وَجَلَّ آية وعلامة لكل من عَقّ والده أو والدته، كما جعله آية لمن ابتلاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالأمراض واستطاعوا العطاء مع إعاقتهم، فهو مثال في الإصابة بدعوة الوالد، ومثال في البذل والعطاء مع الإعاقة الشديدة.

والأخبار في دعاء الوالدين على أبنائِهِم العاقِّيْن واستجابةِ دعائهم عليهم منتشرةٌ ومشهورةٌ إلى يومنا هذا. ولذا يجب أن يحذر العاقُّ من دعوة والديه عليه، فإنه حَرِيٌّ أن تستجاب دعوتهما فيه.

مراتب برّ الوالدين

هناك ثلاث مراتب في بِرّ الوالدين، كما هو ظاهر في نصوص الآيات الواردة في البِرّ بهما، وهذه المراتب هي كالتالي:

* المرتبة الأولى: مصاحبة الوالدين بالمعروف:

وهذه أدنى المراتب -من خلال دراسَتِي وتَأَمُّلِي للآيات الكريمة- في بِرّ الوالدين، حيث وجدت أن الحَدّ الأدنى في التعامُل مع الوالدين هو المصاحبَةُ بالمعروف، ومن نَزَل عن هذه المرتبة دخل في العُقُوق واستحق العُقوبة من الله تعالى.

وهذا الحد الأدنى فيه عَجَب لا ينتهي! وفيه بيان عظمة هذا الدين، وبيان القِيَم العظيمة الفاضلة التي جاء بها الحبيب المصطفى ﷺ.

وقد أمر اللهُ تعالى به الابنَ المسلمَ حين يكون والداه أو أحدُهما من غير المسلمين، وهما يبذلان كلَّ جهدهما في دعوته للشرك بالله، كما هو الواقع في الدول النصرانية أو من تَرْك الاستغاثة بالأموات ودعاء غير الله، أو تَرْك سَبّ أمهات

المؤمنين وكبار أصحاب النبي ﷺ وغير ذلك؛ ومع ذلك قال الله تعالى في حقهما: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان:١٥]، فَدَلّ هذا النص المُحْكَم على أن هذا هو الحدّ الأدنى في بِرّ الوالدين.

❍ قصة الأمر بـ(مصاحبة الوالدين بالمعروف):

هذه الآية نَزَلت في أولِّ ما أُنْزِل من الآيات، فقد نَزَلت في الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

أسلم سعد رضي الله عنه صغيراً -ذو ستة عشر عامًا، وقيل أكثر بقليل- وكان من أسرة لها مكانتُها الاجتماعية، ومنزلتُها في قريش (من بني زهرة، أخوال الحبيب عليه الصلاة والسلام)، وأمه كان لها صِيْتُها، ومنزلتُها ومكانتُها في قومها، فلما عَلِمت بإسلامه، شدَّدَت عليه أن يَكفُر فَرَفَض، وعُذِّب فأبى.

عن سعد رضي الله عنه أنه نَزَلت فيه آياتٌ من القرآن قال: حَلَفَت أم سعد أن لا تكلِّمه أبداً حتى يَكفُر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زَعَمْتَ أن الله وَصَّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مَكَثَت ثلاثًا حتى غُشِي عليها من الجَهْد، فقام ابنٌ

لها يُقَال له: عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت:٨] ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥] (١).

والقصة وردت بألفاظ مختلفة، وهي قصة ثابتة صحيحة ذكرها المفسرون (٢).

والمقصود: أن الله ﷻ أنزل في هذه القصة هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥].

فلو بَذَل الوالدان الكافران كلاهُما أو أحدُهما جُهْداً كبيراً، لكي يَكفُر الابن، أو يُشْرِك ويَرْتَدّ عن دين الله تعالى، فإن الله ﷻ قد أَمَر هذا الابن -مع هذا كله- بمصاحبتهما بالمعروف، ولم يَقُل له: اهجُرهُما، ولا ارْفَع صوتك عليهما، ولا قال له: سُبَّهُما واترُكْهُما، ولا قال له: أَغلِق بابك دونهما

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧) برقم (١٧٤٨).

(٢) انظر: أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (٤/ ٢٩٠٩) برقم (١٩٥١).

أو لا تأتهما، ولا قال له: عاملهما بالمِثْل؛ إن أحسَنُوا فَأَحسِن، وإن أَسَاءوا فَأَسِئ إليهما، بل قال له: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥].

❍ معنى (مصاحبة الوالدين بالمعروف):

قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥] يشمل كل معروف، فيدخل فيه كلُّ معروف في الكلام، والسمعُ والطاعةُ في غير معصية الله، والرَّدُّ الجميل عليهما.

وتأمل كلمة: ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾، فهي من الصُّحبَة، يعني: لا تتركهما! واجعلهما يَسكُنَان معك، أو أن تَسكُن أنت معهما، وهذا يدل على ضرورة الالتقاء بالوالدين، والجلوسِ والحديثِ معهما قَدْرَ الإمكان ولو كانا كافِرَين، فلا يترك تلك الصحبة والخدمة إلا إذا غَلَب على ظنِّه وقوعُ الضرر عليه.

وقد يسر الله إمكانية التواصل مع الوالدين بالصوت والصورة عبر الانترنت ولو تباعدت الأوطان والحمد لله.

حين يطلبان منك طلباً فَتُنَفِّذه بالمعروف وبالتي هي أحسن؛ فهذا من الصحبة بالمعروف، أما إذا نَفَّذْتَه برفع صوتٍ أو سَبٍّ أو شَتْم، فهذا ليس من المعروف في شيء

باتفاق العقلاء.

ومن صور المصاحبة بالمعروف لوالديك أن تمشي أمامَهما في الليل إن كان الطريق مَخُوْفًا، وأن تمشي وراءهما في النهار احتراماً لهما، وإن تَكَلَّما أن تستمع لهما ولا تُقاطعهما، ولا تَسبِقُهُما بالجلوس ولا بالحديث.

فإذا جلست معهما، أو أَكَلت وشَرِبت معهما، فهذا من الصُّحبة بالمعروف، وأنت لم ترتفع بهذا عن مرتبة المصاحبة بالمعروف.

قال لي أحدهم مُفَاخِراً تَعَلُّق أمه به: إن أمي تنتظرني على الغَدَاء، فلا تأكل حتى آتي، فقلت له: هذا من فضل أمك عليك، ومع ذلك هل تتأخر أنت عليها، ويضطرب وقت أكلها؟ هل تجوع هي بسبب انتظارها لك؟ هل هذا من المصاحبة بالمعروف؟! هي التي تنتظرك من شفقتها وحرصها وحنانها عليك، ولو كنت أنت من ينتظرها لكان ذلك من البِرّ، أمّا أن تَنتَظِرك هي مع ما قد يُسَبِّبُه لها الانتظار من الجوع والاضطراب -لا سيما إن كانت مريضة بالسكر والضغط والقَلَق وما شابه ذلك- فهنا يجب التوقف والتأمل.

ومن المصاحبة بالمعروف أن لا يَنشَغِل عنهما حال

جلوسه معهما بشيء آخر، لا بِهَاتِف، ولا كتاب، ولا جريدة، ولا تلفاز، ولا غيرها، بل يتحدَّث إليهما، ويؤانسهما، ويُدخِل السرور عليهما.

* المرتبة الثانية: الشكر للوالدين:

هذه المرتبة هي الثانية كما في قوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان:١٤] وفيها تذكير عظيم بالأم حيث الحَمْل والتعب الذي يصاحِب حَمْلها، وما بعده في الإرضاع والتعليم والتنظيف والرِّعاية التامة حتى يُكمِل السنتين ويَتِّم الفِطام.

وهذه الآية ذكرت مرتبة فوق مرتبة الصُّحبة بالمعروف، وهي مرتبة الشكر، وهي الشعور النفسي حال البِرّ بِرَدِّ الجميل؛ فلا يَدخُل فيه العُجْب والمِنَّة، وإنما هو من باب رَدِّ الفضل إلى أهله.

و(الشُّكْرُ) هو الثناء على المحسن بما أَوْلَاكَ به من

المعروف[١].

قال الطبري رحمه الله: (وقوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ يقول: وَعَهِدْنا إليه أن اشكر لي على نِعَمِي عليك، ولوالديك تربيتَهما إياك، وعلاجَهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استَحْكَم قُوَاك)[٢].

وقال الشوكاني رحمه الله: (وفي جعل الشكر لهما مقترنًا بالشكر لله دلالةٌ على أن حَقَّهما من أعظمِ الحُقُوق على الولد، وأكبرِها، وأشدِّها وجوبًا)[٣].

المصاحبة بالمعروف إذا صَحِبَها استحضارٌ لفضل الوالدين عليك وأنت صغير، وأنك لا تستطيع الوفاء بحقهما؛ لأنهما سبب وجودك: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾، وتَذَكُّرٌ لما قاسَيَاه معك في فترة الرضاع والصِّغَر والفِصَال في العامين، وأنك كلما كَبُرت زاد تعبهما عليك حين تتذكر ذلك

---

(١) مختار الصحاح (ص:١٦٧)، وانظر: القاموس المحيط (ص:٤١٩)، الكليات (ص:٥٣٤).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٠/ ١٣٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٧٤).

وتستشعر وجوب رَدِّ الجميل لهما والقيامِ بالوفاء ببعض حقّهما عليك، وشكرِهما على ما قدَّماه لك، وتسعى جاهداً في سبيل ذلك؛ فحينئذ تكون قد وصلت إلى المرتبة الثانية في بِرّ الوالدين، وهي مرتبة الشكر.

فمرتبة الشكر للوالدين فيها جانب مادي وهو المصاحبة بالمعروف، وجانب معنوي وهو الشعور حال البِرّ بِرَدِّ الجميل والشكر لهما.

وذلك يعني مصاحبتهما بالمعروف بجميع صور المُصاحبة الحسية مع الارتقاء في الجوانب المعنوية من شكرهما، والشعور بفضلهما، ومعروفهما عليك.

هذا الشعور والإحساس بوجوب شكر الوالدين على ما قدَّماه يَرفع عنك العُجْب والغَطْرَسَة والمِنَّة عليهما بما تفعله لهما؛ لأنهما في حقيقة الأمر هما من يَمُنَّان عليك، وأنت الآن في مقام السعي لِرَدِّ الجميل قولاً وفعلاً.

فهذه المرتبة لا يَكفِي فيها تحقيق مرتبة المُصَاحبة بالمعروف، بل لا بد من ذلك الشعور القوي والإحساس بوجوب شكرهما قولاً وفعلاً بعد شكر الله ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

* المرتبة الثالثة: الإحسان إلى الوالدين:

وهذه أعلى المراتب، والمتأمّل في آيات الله ﷻ يجد أن النصوص المُوصِيَة بالوالدين إحسانًا هي الأكثر والأغلب فيما ورد من النصوص في بِرّ الوالدين.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[البقرة:٨٣]، وفي سورة النساء: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[النساء:٣٦]. وفي سورة الأنعام – في آيات الوصية العظيمة–: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾[الأنعام:١٥١].

انظر إلى بَشَاعَة جريمة القتل! قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾[الأنعام:١٥١]. الأب يَقْتُل ولده!

قَدَّم اللهُ البِرَّ بالوالدين إحسانًا، على تلك الجريمة في الذِّكر، وهذا يدل على عظيم شأن الوالدين، وعظيم شأن البِرِّ بهما، وأن في عُقُوقِهِما ما قد يكون الجُرْم فيه أعظم من جريمة قتل الآباء لأولادهم خوف الفقر، فتأمل هذا فهو في غاية البيان.

❍ فضل الإنفاق على الوالدين ومجالستهما:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾[البقرة:٢١٥].

جعل اللهُ الإنفاقَ على الوالدين من أَجَلِّ الصدقات وأعظَمِها أجراً، فقدَّمَه اللهُ على اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلْتكُن أَنْفُسُ الأبناء والبنات سَخِيّة بالإنفاق على والديهم، فقد قال النبي ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمُها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[(١)]. والوالدان أولى من يُطْلَق عليهما (أهلٌ).

وفي سورة الإسراء آية عجيبة، وهي قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾ [الإسراء:٢٣]، بيان تدريجي للأقوال والأفعال والتعاملِ الذي يُوصِلُك -إن شاء الله- إلى مرتبة

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٩٢) برقم (٩٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإحسان في التعامل مع الوالدين.

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أَبتَغِي الأجر من الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «**فهل من والديك أَحَدٌ حيٌّ؟**» قال: نعم، بل كلاهما، فقال ﷺ: «**فتبتغي الأجر من الله تعالى؟**» قال الرجل: نعم. قال ﷺ: «**فارجع إلى والديك فأحسِن صحبتهما**» متفق عليه(١). فجعل الإحسان إليهما في النفقة وحُسْن العِشْرة والمُجَالسة والصُّحْبة مُقَدَّم على الهجرة والجهاد.

وقد ذكر شُرّاح الحديث أن هذا في جهاد التطوع لا الجهادِ الواجب. قال الطِّيبي رحمه الله: (هذا في جهاد التطوع لا يَخْرُج إلا بإذن الوالدين إذا كانا مسلِمَيْن، فإن كان الجهاد فرضاً متعيناً فلا حاجة إلى إذنهما... وكذلك لا يخرج إلى شيء من التطوعات: الحجِ والعمرةِ والزيارةِ، ولا يصوم التطوع إذا كره الوالدان المسلمان أو أحدهما إلا بإذنهما)(٢).

وقال النووي رحمه الله: (هذا كله دليل لِعِظَم فضيلة بِرِّهِما وأنه

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٥٩) برقم (٣٠٠٤)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٥) برقم (٢٥٤٩) واللفظ لمسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٦٤٢).

آكد من الجهاد، وفيه حُجّة لما قاله العلماء: إنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مُسلِمَيْن؛ أو بإذن المسلم منهما... هذا كله إذا لم يَحضُر الصَّفَ ويتعيَّن القتال، وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن)[(١)].

فالمصاحبة للوالدين واحدة، ولابد منها في جميع المراتب، لكن التعامل يختلف؛ فَبَيْنَ أدنى المراتب وهي المُصاحبة لهما بالمعروف وأعلاها وهي الإحسان إليهما بَوْنٌ شاسِع، وميدان كبير، يسير فيه الطالِبون لرضا الله ﷻ في طلب البِرِّ، والاجتهاد فيه.

○ تعريف الإحسان إلى الوالدين:

الإحسان مشتق من (الْحُسْن) وهو ضد الْقُبْحِ، والجمع مَحَاسِن وحَسَّن الشيء تَحْسِيناً زَيَّنَهُ[(٢)].

قال الطبري ﵀ في تفسيره لمعنى الإحسان إليهما: (فِعْلُ المعروف لهما، والقولُ الجميل، وخَفْضُ جناحِ الذُّل رحمةً بهما، والتَّحَنُّنُ عليهما، والرَّأفةُ بهما، والدعاءُ بالخير لهما،

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٤).

(٢) مختار الصحاح (ص:٧٣)، وانظر: القاموس المحيط (ص:١١٨٩).

وما أشبه ذلك من الأفعال التي ندب الله عباده أن يفعلوا بهما)[١].

وقال البغوي ﵀: (بِرًّا بهما، وعطفًا عليهما، ونُزُولاً عند أمرهما، فيما لا يخالف أمر الله تعالى)[٢].

ومما سبق يُعلم أن الإحسان إليهما يكون بالقول والفعل.

فمن صور الإحسان إليهما: القولُ الكريمُ، وأكْمَلُه الدعاء، وأن يختار المرء من عبارات السمع والطاعة أحسَنَها وأجمَلَها وأعذَبَها مع الذُّل والرحمة، في لِيْن الكلام، وأداء الصوت، بعيداً عن التَّأَفُّف والتَّضَجُّر.

ومن صور الإحسان إليهما: المبادرة بفعل ما يُحَبَّانه وترك ما يَبغَضَانه قبل طلبهما، وأما في حال رفضهما إن كان رَفْضُهُما شفقةً على ولدهما، فيبادر بذلك بابتسامة مع إظهار الفرح والسرور والغِبطَة بما يُقَدِّمه لهما، كالمبادرة بالعمرة والحج بهما، والسفر بصحبتهما، وزيارة من يرغبان زيارته، وغير ذلك.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢/ ٢٩٢).

(٢) تفسير البغوي – طيبة (١/ ١١٧).

ومن صور الإحسان إليهما: تَفَقُّد مكان سكنهما، بالإصلاح، والصيانة، والعناية.

ومن صور الإحسان إليهما: أن ينفق عليهما دون أن يُشعِرَهما بِذُلّ السؤال أو الأخذ؛ كأن يفتح حسابًا بنكيًا للمحتاج منهما؛ فيُودِع فيه كل شهر، وإن كان له إخوة يتناصح معهم ويحث المقتدر منهم بالإيداع ولو بمبلغ يسير، ويضاعف المبلغ عند وجود حاجة لهما، وقليل دائم خير من كثير منقطع.

ومن صور الإحسان لا سيما إذا تزوج الأولاد: أن يتعاهَدَهُما بالزيارة كل يوم، وإن لم يستطع وكان لهما جمع من الأولاد فيتقاسموا الأيام فيما بينهم بالجلوس عند الوالدين؛ ويجعلون يومًا يجتمعون فيه عندَهما.

❍ مكانة الإحسان إلى الوالدين:

مرتبة الإحسان إلى الوالدين مرتبة عُليا، ويمكننا أن نفهمها من خلال كلام الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل

لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[الإسراء:٢٣].

فقد جاء في هذه الآية البيان البليغ في كيفية التعامل مع الوالدين لمن أراد أن يَصِل إلى مرتبة الإحسان، مع تصويرٍ دقيقٍ، وتشبيهٍ بليغٍ للحالة التي ينبغي أن يكون فيها الولد مع والديه.

ذكر الإمام السعدي ﷺ كلاماً لطيفاً، فقال: (نهى تعالى عن الشِّرك به وأمر بالتوحيد، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾[الإسراء:٢٣]، قضاءً دينياً، وأَمَر أَمْراً شرعياً، ألا تعبدوا أحداً من أهل الأرض والسماوات؛ الأحياء والأموات إلا إياه ﷻ؛ لأنه الواحد الأحد الفَرْد الصَّمَد الذي له كل صفة كمال، وهو المُنْعِمُ بالنِّعَم الظاهرة والباطنة، الدافعُ لجميع النِّقَمِ، الخالقُ الرزَّاق ﷻ. ثم ذكر بعد حقِّ القيام به حقَّ الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣]، أحسِنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي؛ لأنهما سببُ وجود العبد، ولهما من المحبة للولد ما جعله الله جِبِلَّة)[١].

وقد قَرَن في الآية بَيْن الأمرَ بعبادَتِه سبحانه والأمرَ

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٥٦).

بالإحسان إلى الوالدين: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: وأَمَرَ بالوالدين إحسانـًا.

وتأمل كيف عطف -بالواو- الأمرَ بالإحسان إلى الوالدين على الأمر بوحدانية الله تعالى، الذي هو أعظم أسباب دخول الجنة، وهذا يدل على عِظَم شأن مرتبة الإحسان إلى الوالدين.

ومن روائع القصص النبوية في القرآن، قصةُ إسماعيل الذبيح مع أبيه إبراهيم عليهما السلام، وكذا قصةُ عيسى مع أمه مريم عليهما السلام، وقصةُ يحيى مع أبيه زكريا عليهما السلام.

آية (٢٣) من سورة الإسراء جاءت لبيان معنى الإحسان التي يجب العناية بها، وذلك كما يلي:

١- العناية بالوالدين في سن الكِبَر وعند حاجتِهما إليك:

كما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣].

بدأ الله سبحانه وتعالى بالحديث عن الوالدين في مرحلة أَرْذَل العُمُر (آخر العُمُر)؛ لأنهما في هذه المرحلة بحاجة ماسَّة إليك، ولم يَعُد عندهما استعدادٌ أو استطاعةٌ للعيش (بمفردهما)، وإن

كان أحدهما أو كلاهما لم يبلغا حد التخريف (أَرْذَل العمر)، فإن الضعف الجسدي قد وصل بهما إلى حَدٍّ لا يستطيع أحدهما أن يُدَبِّر فيه شئون نفسه بنفسه، وقدم ذَكَر ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ قبل ذكر ﴿كِلَاهُمَا﴾- والعلم عند الله - لأن الوحيد هو من فَقَد صاحبَه؛ فالأمر عليه أشق.

ومن هنا نفهم أن الله ﷻ ذكر في الآية كِبَر السن؛ لأنه مَظنّة التعب، وهو مَظنّة الحاجة النفسية والجسدية للرعاية الخاصة، فمتى كَبُر الإنسان زادت حاجته للرعاية؛ مع أنه قد يحتاج إلى الرعاية قبل ذلك بسبب المرض الجسدي أو النفسي.

فالكِبَرُ فيه إشارة خاصة وعامة، فأما الخاصة فهو التَّقَدُّم في السن كما نصت عليه الآية، وأما العامة فهو القياس المساوي للكِبَر بجامع الضَّعْف، فالمرض العضوي أو الاضطرابات النفسية كلها ضَعْف كالكِبَر؛ وهو شامل لكل مرحلة ضَعْف يمرُّ بها الوالدان، ولو كانا في عِزِّ شبابهما، لأن المرض الجسدي أو النفسي له آثاره السيئة على الإنسان.

٢- احتضان الوالدين عند الكِبَر وعند حاجتهما إليك:

هنا لفتةٌ جليلةٌ في قوله ﷻ: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ﴾ في ضمير

الظرفية ﴿عِندَكَ﴾، احتضان الوالدين أو أحدهما عند الحاجة بسبب الكِبَر أو المرض أو غيرهما، والاحتضان مفهومُه أوسع من مجرَّد العناية بهما.

فالمخاطب بهذا في أول الآية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، هو كل مسلم -ذكراً كان أو أنثى- له أبوان محتاجان إليه، وكان عنده استطاعة وقدرة لاحتضانِهما ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]؛ ومن هنا نُدرك خطورة التَّعامل مع دُوْر المُسِنِّين، حيث يحرص بعض الأولاد أن تكون أمّه أو أباه في دارٍ للمُسِنِّين مع قدرته على عدم الابتعاد عنهما؛ فإلى الله المشتكى!

لكن في المقابل لا بد من نشر القصص الجميلة في حرص الأبناء على احتِضَانِ والدَيهم إلى درجة الوصول إلى المَحَاكم للفَصْل بينهم في الأحق باحتِضَان والدَيهما.

فهنا نموذج معاصر من عددٍ لا يُحْصَى من النماذج التي شاهدتُها وعايشتُها في شدة حرص الأبناء على احتِضَانِ والدَيهم حال الكِبَر، فأَذْكُر من أجمل القضايا التي مرَّت عليَّ في هذا المِضمار، حينما كنت قاضياً في البَكيريَّة، أنه أتى إليَّ أخوان (من أهالي الشِّيحِيّة) وقالا لي: لا نريد ضبط جلسات،

ولكن افصل بيننا بالحكم الشرعي، وسنقبل الكلام شفويًا، وعاملنا معاملة الفتوى المُلزِمَة -والفتوى المُلزِمَة حُكْمٌ-، فقلتُ لهما: ما القضية؟ فقال لي أحدهما: أمي تُحِب أن تعيش عند أخي، وأنا أريد حقي منها، وأريدها أن تعيش عندي مع أولادي.

قلتُ للأخ الأكبر: أمك تزورُها؟ قال: أزورُها كلَّ يوم، فقلتُ له: وأولادُك؟ فقال: لا أحد يَرُدُّ أولادي عنها.

فقلتُ له: هل تريدُ أن أسأل أخاك عن هذا الأمر؛ فقد يكون السِّرُ في رغبة أمك للجلوس معه دونك بسبب تعامل الزوجات، أو تجدُ الراحة النفسية في بيته، أو قد يكون بسبب رغبتها في عدم إشغالك؛ لأنها ترى أنك مشغول.

وحصل حوار طويل جميل، وانتهى الأمر إلى أن قلتُ لهما: (الأم ما دامت في قواها العقلية -ولو ضعُفت- فتُتْرك على رغبتها التي لا تضُرُّ بها، والأصل في الحكم الشرعي في هذا هو أن يعيش الأب أو الأم مع من يختار أن يعيش معه من أولاده؛ فالقرار لهما، ولا يُكْرَهان على ما لا يرغبان).

فمثل هذه القصة لا بد أن تُنشَر، وأن تُبَيَّن الصفحة البيضاء؛ فالمجتمع -ولله الحمد- بخير في جملته.

٣- اجتناب التأفف من الوالدين:

قال ﷻ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[الإسراء:٢٣].

جاء النهي عن التأفُّف مباشرة في الآية بعد ذكر سن الكِبَر وقبل الأمر بالقول الكريم؛ لأن الضعيف الذي في حالة المرض -إما لكِبَر سنِّه أو لمرضه الجسدي أو النفسي- يحتاج إلى مراعاة كبيرة جداً، وأيُّ لفظٍ مهما صَغُر قد يُؤذيه، فقد يطلب منك طعامًا، فتقول: أُفّ، ثم إذا جاء الأكل، لم يطعمه، لا لِشِبَعِه، وإنما لأنك تأَفَفْت حال إحضاره، وما شابه ذلك من الأمور الكثيرة.

هذا النهي في هذه الآية نهي واضح وجلي، وقد ذكر الله تعالى أخفَ الألفاظ وأيسرَها على النطق، وأسرَعها على سمع المتلقي وهو قول: (أُفّ).

فلا تقل له: (أُفّ): أي: لا يصدر منك أيُّ حركة أو كلمة تُشعِر أباك أو أمك بضَجَرِك منهما، وأنك لم تتلقَّ أمرهما بالقبول والتسليم المطلق.

وكلمة (أُفّ) قد تقولُها وأنت لا تشعر، وقد تقولُها أحيانًا عادة، وقد لا يظهر نطقُ حروفِها كالكلام، لكن يفهم الذي

سمع منك هذا التأفف أنك تلقيت الأمر بثِقَل، ويشعر بعدم خِفّته عليك، وعدم محبتك له، بل قد يشعر بكُرْهِك له.

انتبه! الأفعال أحيانًا أبلغ من الأقوال، فخُذ حِذرك أن يَصْدُر منك لوالديك ما يُشْعِرُ بِثِقَل الأمر عليك.

وفي ذكر هذه اللفظة في الآية بيان عِظَم شأن ما هو أسوأ منها وأعلى منها.

وقد بدأ الله ﷻ بالنهي عن التَّأَفُّف؛ لأن التَّأَفُّف قد يكون حاجزاً يصرِف السامع عن سماع ما بعده من الكلام؛ فالآية توجيه لك بأن لا تمنع والديك من التَّحَدّث، بل دَعْهُما يتكلمان بما يشاءان، ويطلبان ما يشاءان، ويأمران بما يشاءان، واجعل الأمر عندهما يسيراً سهلاً خفيفًا عليك، وأشعرهما بذلك لتهوين الأمر عليهما، لا لإشعارهما بفضلك عليهما.

فينبغي أن ندرك هذه المعاني الجليلة في هذا البيان العظيم من الله ﷻ، إذا أردنا أن نصل إلى مرتبة الإحسان في التعامل مع الوالدين.

٤- اجتناب انتهار الوالدين:

ثم قال ﷻ تتمة للأمر والنهي: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]،

وهذا فيه التأكيد على الحذر مما فوق الـ (أُفّ)، لكي لا يأتي من يتشدق بالكلام، فيقول: إن الله تعالى نهى عن التَّأَفُّف فقط، وأنه لم ينْهَ عن رفع الصوت، ولم ينْهَ عن بعض الكلمات التي قد أحتاج إليها؛ بسبب تكرار الوالد الكلام عَلَيَّ، أو بسبب عصبيته، أو عدم فهمه أو قِلَّةِ إِدْرَاكِه، فأنا أقول له هذا الكلام وأرفع صوتي عليه لأجل ذلك، ثم يأتي بتبريرات لا طائل تحتها.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ بعدم رفع الصوت عليهما، وتَرْك الحديث معهما بما يجرح أو يؤذي، سواء من الكلمات أم من طريقة الكلام، وهذا أمر في غاية الوضوح.

٥- مخاطبة الوالدين بالقول الكريم:

ثم قال ﷻ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[الإسراء:٢٣].

مهما بحثت عن لفظة تعبِّرُ بها عن (القول الكريم) فلن تَجِد أنسب من هذه الكلمة، ولن تَجِد ما يقوم مقام هذا الوصف الجليل، فهو قول كريم في ذاته، وكريم في مَبْنَاه، وكريم في أدائه.

أرأيت لو دخلت على رجلٍ كريم، فأضافك وذبح لك

الذبائح وأكرمك، ولكنه استقبلك مُكْفَهِرًّاً، ووجدت الكلام معه صعبًا، وشعرت من حركاته وأفعاله بالنفرة، فهل هذا يُعَدّ من الكرم!! وهذا شيء يدركه كل من عاش باب الكرم، وحُسْن الترحيب بالضيوف.

﴿قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ يشمل كل أنواع الكرم، فهو كرمٌ في لِيْن الكلام، وفي اختيار الألفاظ، وفي أداء الصوت ونَبْرَتِه، وفي طريقة الكلام.

فتَنَبَّه لهذا الوصف الجليل! الذي أمرنا الله تعالى به: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾[الإسراء:٢٣].

- **الدعاء للوالدين ذَرْوَة القول الكريم:**

ضرب الله تعالى المثل للقول الكريم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[الإسراء:٢٤].

فالدعاء هو الكلام الذي فيه عطاء، ولن تجد كلمات تحمل معنى العطاء إلا في الدعاء، لذا ينبغي حال الكلام مع الوالدين أن يتقدم بين يديه بالدعاء، وهذا من القول الكريم الذي يَفِيض عطاءً بالدعاء؛ فتدعو لأبيك وأمك بالرحمة والمغفرة وصلاح الذرية، فتقول لهما: الله يرحم ذريتك يا

أمي، أو الله يُوَفّقكِ ويُوَفّق ذريتِكِ. وتدعو لأبيك فتقول: الله يُسعِدُك بذريتِك، الله يجعل ذريَّتِك برَرَة. رحم الله والديك، ورزقك الله بِرّ ذريتك ونحو ذلك من الأدعية التي يفرح بها الوالدان، وتسبب لهما انشراح الصدر، لا سيما الدعاء بصلاح الذرية، فأنت مشمول بالدعاء لأنك من الذرية.

ولو أن كل واحد منا سأل أمه أو أباه عن الدعاء الذي يحب أن يدعو له به، فسيجد لكلٍّ منهما دعوة يرغب بها، وربما تكون الدعوة بصلاح الذرية هي الأحبُّ إليهما.

ومن هنا جاء الأمر بالدعاء لهما في ختام الآية؛ وهو القول الكريم فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٤]، وفيها بلاغةٌ بديعةٌ؛ فهي دعاء بالرحمة، وتذكير بمرحلة الصَّغَر، وفيها تقديمُ الدعاء قبل تَذَكُّر مرحلة الصِّغَر.

واستحضار الطفولة والصِّغَر عند الدعاء بـ: (رب ارحمهما كما رَبَّيَانِي صغيراً) له أثره في الإحسان إلى الوالدين، وذلك حين تستشعر كيف كانوا يعاملونك صغيراً، فقد سبقوك في الشعور بك في كل شيء، فأمُّك وأبوك كانا يشعران بجوعك وعطشك فيُطعِمانِك ويَسقِيَانك، وكانا يشعران بحاجتك إلى التنظيف فيُنَظِّفَانِك، ويَشعران بحاجتك

إلى التدفئة فيُدفِّئانك، وبحاجتك إلى التخفيف من ملابسك إن كان الجو حاراً، ويستشعران مناسبة الجو لجلستك ونومك، وكل هذا كان وأنت لا تستطيع أن تطلب شيئًا؛ فكانا يخدمانك غاية الخدمة، ويقومان على قضاءِ حوائجك ولوازمك مع محبتك والفرح بنموِّك وكِبَرِك والدعاء لك.

حين تتذكر هذه المعاني العظيمة تجعلك ذليلاً بين يديهما، رحيمًا بهما، داعيًا لهما ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٤]، وما كان الدعاء بهذا النص: ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ إلا لتذكيرك بهذا الماضي العميق لك في الطفولة، وما قبلها من الحمل والفصال؛ لما لذلك من أثره البالغ في الإحسان إليهما، وقد سبق بيان معنى ذلك في مرتبة الشكر لهما، فمرتبة الإحسان تشمل مرتبة الصُّحبة بالمعروف ومرتبة الشكر لهما وزيادة.

٦- خفض الجناح للوالدين:

انظر إلى هذا المثال الجميل، والتصوير البليغ، في كيفية التعامل مع الوالدين، في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤]، وهو مثال الطائر الذي يَخْفِض جناحَيه في رعايته لصِغاره، وفي جِدِّهِ واجتهادِهِ في إكرام هؤلاء

الصغار وإطعامِهم والعنايةِ بهم.

وأنت عندك جناح ليس كجناح طائر، ولكنه جناح من التَّذَلُّل لوالديك والانقياد والتواضع بين أيديهما.

هذا الذُّلُ مَنْشَؤُهُ الرحمة، التي تَنْبُع من القلب، وليس من الخوف أو الطمع، وهذا أفضل ما يكون من الخضوع؛ لأنه يِنْبُع من المحبة الخالصة والرحمة الحَانِيَة.

وقد أطال المفسرون في هذه الآية، ووقفوا مع هذا المثل وقفات كثيرة يطول الكلام فيها، ولقد أجاد إمام التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله، حينما أجاب عمن سأله عن معناها، فقال: (ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ)[١]، فهكذا ينبغي أن يكون حال الابن أو البنت مع والديهما كحال العبد الآبِقِ الذي أساء وأخطأ؛ إذا وقف بين يدي سَيِّدِه مُعتَذِرَاً مُتقرِّباً إليه، وسَيّدُه معروف بالغلظة والشدة.

وقال بعضهم: مثل الرجل بين يدي الأمير أو الحاكم الذي له الصَّوْلَة والجَوْلَة، وقد أخطأ في حقه، في كيفية تَذَلُّلِه بين يدي الأمير وطلب العفو منه؛ فهكذا ينبغي أن يكون حال

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٤١٩).

الولد مع والديه.

ومن ذلك الصبر على قسوتِهم واضطراب نفسيَّتِهم ومرضهم وتَقَلّب مزاجهم، والعجب ممن يصبر على أذى الناس، وينقبض من أبسط موقف معاكس من والديه، والنبي ﷺ يقول: «**ففيهما فجاهد**»، فتأمل عِظَمَ هذه العبارة!!

ومن هنا ندرك إدراكًا حقيقيًا، أن المُصاحبة بالمعروف شيء، والتَّذَلُّل والخضوع للوالدين بالكلام الكريم شيء آخر.

فمن أراد أن يصل إلى مرتبة الإحسان فليستشعر هذه المعاني الجليلة التي ذكرها المولى ﷻ في هذا البيان الموجز.

قرَّب الله تعالى لنا صورة الإحسان إليهما بمثل الطائر، وبالتعبير الدقيق: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[الإسراء:٢٤]، الدَالّ على أن القلب مُمْتَلِئٌ برحمة الوالدين، ثم الأمر في نهاية الآية بالدعاء لهما: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[الإسراء:٢٤].

فهي إذن ثلاث مراتب في بِرّ الوالدين:

أدناها: **مرتبة الصُحبة لهما**، ثم ثانيها: **مرتبة الشكر**، ثم ثالثها وأعلاها: **مرتبة الإحسان**.

برّ الوالدَين بعد وفاتهما

من أنواع البر العظيمة التي ينبغي أن لا يغفل عنها الابن أو البنت نحو أبويهما البِرُّ بهما بعد موتهما، وهذا أخلص أنواع البِرّ، إذ لا يُمكِن فيها طَلَب حُظوظ الدنيا، وينبغي أن يجاهد نفسه على الابتعاد من الرياء، فالبِرُّ بهما لا ينتهي بوفاتهما، بل يستمر بعد موتهما، وهذا من أعظم النِّعم على الأبناء، ويكون هذا البِرُّ لهما بعد موتهما بعدة أمور منها:

* الاستغفار والدعاء لهما:

الاستغفار والدعاء للوالدَين يكون مطلقًا في حياتهما، ويكون بعد وفاتهما أيضًا؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾[الإسراء:٢٤].

والاستغفار للوالدَين بعد وفاتهما صورة عظيمة من صور البِرِّ بهما؛ قال ﷺ: «**إن الرجل لتُرْفَع درجته في الجنة فيقول: أنَّى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»[1].

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٠٧) برقم (٣٦٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٣٤) برقم (١٦١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فحين تكثر من الدعاء لوالدَيك بالمغفرة والرحمة فيستجيب الله تعالى لك ويغفر ذنوبهما ويرفع درجتهما؛ فهذا من أعظم البِرِّ الذي تَبَرّ بهما بعد موتهما.

ومثل هذا يُقال حين تدعو لهما بعد موتهما بتَثْبِيْتِهِمَا على الصراط وإِظْلالِهما تحت ظل العرش، والدعاء لهما بالرحمة ودخول الجنة ورفع مقامِهما فيها وغير ذلك.

هذا نوح ﷺ -وهو من أولي العزم من الرسل- يدعو لوالدَيه بالمغفرة، فيقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[نوح:٢٨].

وقد أفتى سماحة شيخنا الشيخ: عبد العزيز ابن باز رحمه الله أن ما بين السجدتين مَحَل دعاء، وأن النبي ﷺ كان يُكثِرُ من قوله: «**رب اغفر لي**»(١)، وأن الواجب أن يقول ذلك مرة واحدة وهو قول جماعة من أهل العلم، وأن الزيادة إلى الثلاث أفضل، وأَجَاز الزيادة على ذلك بالدعاء للوالدَين

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٣١) برقم (٨٧٤)، سنن النسائي (٢/ ١٩٩) برقم (١٠٦٩)، سنن ابن ماجه (١/ ٢٨٩) برقم (٨٩٧) عن حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني.

والمسلمين بالمغفرة والرحمة وغير ذلك[١].

فينبغي الحرص على هذه الدعوة لهما بين السجدتين في كلِّ ركعة.

والدعاء للوالدَين بعد وفاتهما من أَخْلَص البِرِّ، فأنت بدعائِك لهما في قبورهما لا ترجو منهما شيئًا، ومعلوم أن الوالدَين إذا ماتا وانتقلا إلى الدار الآخرة، فإن عَمَلَهُما قد انقَطع إلا من ثلاثٍ، قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عَمَلُهُ إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتَفَع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[٢].

هذا الدعاء جعله النبي ﷺ منقبةً عظيمةً للولد في بِرِّه لأبَوَيه، والولد الصالح حَرِيٌّ أن يَقبَل الله تعالى منه دعاءَه، وصدَقَتَه، وسائر عمله، ومن جميل ما قيل: إن من علامات الصلاح: الدعاء للوالدَين، فَفَتِّش نفسك؛ هل أنت ممن يُكثِر الدعاء لوالدَيه، فالصلاح من أسباب إجابة الدعاء.

---

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٨/ ٣٢٢) برقم (١٥٢).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥) برقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* المبادرة بقضاء دينهما:

ومن صور البِرِّ بالوالـدَين بعد وفاتهما: الإسراعُ في قضاء دَينِهِما. قال ﷺ: «**نَفْس المؤمن مُعَلَّقَةٌ بدَيْنِه، حتى يُقضَى عنه**»(١).

قال الشوكاني رحمه الله: (فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم بأن نَفْسَه مُعَلَّقَةٌ بدَيْنِه حتى يُقضَى عنه)(٢).

وقال الطِّيبي رحمه الله: (قوله: «**مُعَلَّقَةٌ بدَيْنِه**» أي: لا يظفر بمقصودِه من دخول الجنة، أو في زُمْرَة عباد الله الصالحين)(٣).

فالتعجيل بقضاء دَيْن الوالدَين هو تعجيل لهما بالنعيم في الجنة والدخول في عباد الله الصالحين، وهذا مما لا شك فيه من أعظم البِرِّ بهما بعد موتهما.

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٣/ ٣٨١) برقم (١٠٧٨)، سنن ابن ماجه (٢/ ٨٠٦) برقم (٢٤١٣) وصححه الألباني.

(٢) نيل الأوطار (٤/ ٣٠).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٧/ ٢١٧٨).

* قضاء ما فات الوالدَين من فرض الصيام أو الحج والنذور والكفارات:

ومن صور البِرّ بالوالدَين بعد وفاتهما: قضاءُ ما فاتهما من فرض الصيام والحج، قال ﷺ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وَلَيُّه**»[(١)]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، أفَأَقضِيهِ عنها؟ فقال: «**لو كان على أمك دينٌ، أكنت قاضِيهِ عنها؟**» قال: نعم، قال: «**فدَين الله أحقّ أن يُقضَى**»[(٢)] وقد دخل الصومُ والحجُ لمن كان قد استطاع ولم يحج في عموم قوله: «**فدَين الله أحقّ أن يُقضَى**».

كما دَخَل في الحديث المتقدم أيضاً: النُّذُور والكفارات، كنَذْر الصيام، والحج أو العمرة، وغيرها مما تدخُلُه النِّيَابة، وككفارة اليمين، وكفارة قتل الخطأ، وغير ذلك؛ فهذه مما يُقْضَى عن الوالدَين؛ وقد جاء في رواية لهذا الحديث قول

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٣٥) برقم (١٩٥٢)، صحيح مسلم (٢/ ٨٠٣) برقم (١١٤٧)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ٣٥) برقم (١٩٥٣) واللفظ له، صحيح مسلم (٢/ ٨٠٤) برقم (١١٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

السائل: يا رسول الله! إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟[(١)]، وعموم قول النبي ﷺ: «**فدَين الله أحقّ أن يُقضَى**» يشمل الكفارات.

وقضاء هذا النوع من الديون على الوالدَين -مما هو من حقوق الله- هو إبراء لذمتهما منه، وهو بِرٌّ بهما أيضًا بعد موتهما، كما تقضى حقوق العباد التي تبنى على المشاحة.

* الصدقة عن الوالدين:

ومن صور البِرِّ بالوالدَين بعد وفاتهما: الصدقة عنهما.

توفيت أم سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو غائب عنها، فقال: (يا رسول الله! إن أمي تُوُفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟) قال: «**نعم**»، قال: (فإني أشهدك أن حائطي -أي بستاني- المِخْرَاف صدقة عليها)[(٢)].

وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَت نفسُها (أي: ماتت فجأة)، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٣٥) برقم (١٩٥٣)، صحيح مسلم (٢/ ٨٠٤) برقم (١١٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٧) برقم (٢٧٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

عنها؟ قال: «**نعم**»[١].

ومن الصدقات على الميت التي يصل أجرها إليهما بعد وفاتهما بناءُ مسجدٍ أو مدرسةٍ أو مستشفى، أو شقِ طريقٍ، أو حفرِ بئرٍ وغيرها من الصدقات، ويدخل في ذلك سائر الأوقاف وإهداء أجر ذلك لهما.

* إنفاذ وصية الوالدين وعهدهما:

ومن البِرِّ بالوالدَين بعد موتهما: إنفاذُ وصيّتِهما وعهدِهما، والثناءُ عليهما وذكرُهما بالجميل وغير ذلك من الأمور.

جاء رجل من بني سَلِمَة إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! هل بقي من بِرّ أبويَّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**»[٢]، والصلاة هنا بمعنى الدعاء لهما.

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٠٢) برقم (١٣٨٨)، صحيح مسلم (٢/ ٦٩٦) برقم (١٠٠٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٣٣٦) برقم (٥١٤٢) عن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، وضعفه الألباني.

والحديث وإن كان في سنده مقال، لكن معناه ثابت صحيح؛ ويشهد له ما سبق والحديث الآتي، فإنفاذ وصيتِهما -الجائزة- والوفاء لهما بما عاهدا عليه هو من البِرِّ بهما، وهذا مما لا شك فيه.

* إكرام أهل وُدّ الوالدَين وأصدقائِهما من بعدهما:

قصة لطيفة:

كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في طريقه إلى العمرة، وكان يُرَاوِح بين الركوب على الناقة، والركوب على الحمار، فيركب هذا أحيانًا وهذا أحيانًا، وإذ برجل أعرابي يمرّ عليهم ويسلِّم، فنظر إليه ابن عمر وسأله عن أبيه قائلاً: أنت ابن فلان؟ قال: نعم، فنزل إليه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وخَلَع عمامته التي على رأسه وأعطاها له، وأعطاه الحمار ليركبه، فقال بعض أصحاب ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هذا الذي أعطيته كثير، وإنهم الأعراب يرضون باليسير، فذكر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أَبَرّ البِرِّ صلة الرجل أهل وُدّ أبيه بعد أن يُوَلِّي**» ثم قال: (وإن أباه كان صديقًا لعمر)، والقصة بطولها في مسلم[(١)].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٩) برقم (٢٥٥٢) عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الطِّيبي رحمه الله: (والمعنى أن من جملة المَبَرَّات الفُضلَى مَبَرّة الرجل مع أحبَّاء أبيه؛ فإن مودَّة الآباء قرابة الأبناء، أي: إذا غاب الأب أو مات يَحفظ أهل وُدِّه ويُحسِن إليهم؛ فإنه من تمام الإحسان إلى الأب، وإنما كان أَبَرَّ؛ لأنه إذا حفظ غَيبَته فهو بحفظ حضوره أولى وأحرى)[١].

* صلة الرحم التي لا توصل إلا بالوالدَين:

ومن البِرِّ بالوالدَين بعد موتهما: صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما؛ لحديث أبي بردة رضي الله عنه قال: قَدِمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال: أتدري لِمَ أتيتك؟ قال: قلت: لا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أَحَب أن يصل أباه في قبره فليَصِل إخوان أبيه بعده**» وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ، فأحببت أن أَصِلَ ذاك[٢]، وإذا كان هذا بين أُخُوّة الدِّين -كما فهمه ابن عمر- فأُخُوّة النَّسب مع أُخُوّة الدِّين من باب أولى.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣١٥٩).

(٢) صحيح ابن حبان - محققا (٢/ ١٧٥) برقم (٤٣٢)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد (٦/ ٣٥٣) برقم (٢٠٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤١٧) برقم (١٤٣٢).

ومن جهة أخرى فإن أقرب الناس الذين يَوَدُّهم أبوك هم أهله: والداه (أجدادك) وأبناؤه (إخوانك وأخواتك) وإخوانه (أعمامك) إذا كانوا أحياء، وكذلك أهل وُدّ أمك، هم: والداها (أجدادك) وأبناؤها (إخوانك وأخواتك) وإخوانها (أخوالك) إذا كانوا أحياء، فلا تغفل -يا عبد الله!- عن صلة أجدادك، وإخوانك وأخواتك، وأعمامك وعماتك، وأخوالك وخالاتك، فإن هذا من أَبَرِّ البِرِّ؛ لأنه يَتَمَحَّض فيه طلب الأجر من الله ﷻ، فأنت لا ترجُو من أبيك ولا أمك ردّاً للمعروف بِبِرك لـرَحِمِهِم، وإنما تفعل ذلك قربة للمولى ﷻ من جهتين: من جهة أنهم أهل وُدِّهما، ومن جهة أنهم الرَّحِم التي لا تُوصَل إلا بهما.

فَحَرِيٌّ بنا أن نبيّن للفضلاء أن هذه الصلة مع الأقارب صلة رحم، وكذلك هي بِرٌّ بالأبوين، وإن كانوا ذوِي حاجة، فقد اجتمع فيها ثلاث نيات: بِرّ الوالدَين، وصلة الرحم، والصدقة على محتاج.

* إصلاح الإنسان نفسه:

ومن البِرِّ بالوالدَين بعد موتهما: إصلاح الإنسان نفسه

وإكثاره من العمل الصالح؛ لأنه كلَّما فَعَل ذلك كان للوالـدَين نصـيب مـن الأجـر؛ لأنهمـا همـا سـبب وجـوده، ولمـا جـاء في الحديث عن بُرَيْدَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «**وإن القـرآن يَلْقَـى صاحبَه يوم القيامة حين يَنشَقّ عنه قـبرُه كالرجـل الشَّـاحِب. فيقـول لـه: هـل تعرفنـي؟ فيقـول: مـا أعرفـك، فيقـول: أنـا صاحبك، القرآن الذي أظمأتك في الهَوَاجِر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطَى المُلك بيمينه، والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاجُ الوَقَـار، ويُكْسَـى والـداه حُلَّتَـيْن، لا يقـوم لهمـا أهـل الـدنيا فيقولان: بِمَ كُسِينَا هـذا؟ فيقـال: بأخـذ ولـدكما القـرآن..**»[(١)] الحديث.

فكانت هذه الكرامة للوالدَين بسبب صلاح الابـن، وكثـرة قراءته للقرآن، ولا يخفى ما في ذلك من البِرِّ بهما بعد وفاتهما.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٤١) بـرقم (٢٢٩٥٠)، المعجم الأوسط (٦/ ٥١) بـرقم (٥٧٦٤)، وصـححه الألبـاني في سلسـلة الأحاديـث الصحيحة (٦/ ٧٩٢) برقم (٢٨٢٩).

تربية الأبناء على برّ الوالدين

تعليم الآباء لأبنائهم أن يَبَرّوهم وتربيتهم على ذلك من الأهمية بمكان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦].

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بأن تفعل ما يَقِي نفسك من النار، ولو بِشِق تمرة، كما قال النبي ﷺ: «**اتقوا النار ولو بِشِق تمرة**»[(١)].

﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (وعَلِّمُوا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يَقُوْن به أنفسَهم من النار، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)، ثم روى بسنده عن علي رضي الله عنه، في تفسير الآية: قال: (عَلِّمُوهم وأَدِّبُوهُم)[(٢)].

فمما ينبغي على الوالد أن يُعَلِّم أولاده أن يُرَبِّيهِم على بِرّه وبِرّ أمهم من تقبيل اليد والرأس وحمل أحذيتهما، ويُعَلّمهم

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٠٨) برقم (١٤١٣)، صحيح مسلم (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٤٩١).

على التَّذَلُّل، ويجعلهم يتنافسون في ذلك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين:٢٦] فاترك ولدك -أيها الأب- أن يأخذ لك أحذيتك -مثلاً- وأنت تخرج من المسجد، فإن ذلك من التربية على البِرِّ.

حدثني أحد الشباب ممن يحرص على بِرّ أبيه، قال: استفدت وأنا صغير، حين قال لي أحدهم: (إذا أردت أن تعوِّد نفسك بِرَّ والدك، فاحمل حذاءه، وانتظره إذا خرج من المسجد وضع له الحذاء ليلبسه، وهكذا فافعل في كل مجلس)، فكان هذا التأديب مما نفع الله تعالى به هذا الشاب.

ومما يُعِيْن على تمكين الآباء من بِرّ أبنائهم بهم: العدلُ بين الأولاد فيما يجب فيه العدل، وإظهار المحبة للجميع، وحُسْنُ التعامل معهم، وإن كان القلب يميل للمفاضلة بينهم، لكن يحرم المَيل كلَّ المَيل في التعامل؛ إذ ربما يحجم بعض الأولاد عن البِرِّ بآبائهم بسبب هذا التفضيل.

ويدخل في ذلك تسميتُهم بالاسم الصالح المناسب تفاؤلاً، ودعاءُ الوالدَين بصلاح الأولاد، وطِيْبِ المأكل، وتغذيتهم بالحلال، واختيار الزوجة الصالحة لهم، فهذا مما

يُعين على صلاح الذُّرِّية وبِرّ الأولاد لوالدَيهم.

كما ينبغي أن نحرص على عدم تعويد الأولاد في الصغر على الاستخفاف بالوالدَين، أو التمادي في ذلك.

كنت في زيارة أحد الزملاء من القضاة، فبينما هو يلاطف ابنه، جاء الابن ذو الأربع سنوات وضرب والده! وتركه والده في التمادي، فتحدّثت مع الابن وَنَهَرْتُه -وأبوه يسمع- فاستغرب الابن وركض نحو أبيه، فحصل بيني وبين الأب كلامٌ، وأخبرته أن هذا خللٌ تربوي -ومثله تَعْوِيْد الابن على رفع صوته على أبيه منذ الصغر- وأنه إذا لم يَرْدَعْه فإن هذا السلوك سيَكبُر معه، ويترسّخ في عقله، فلا ينبغي أن يُتَغاضَى عنه، وعليه أن يؤدِّبه بما يناسبه، فانْتَبَه لذلك الأبُ -والحمد لله- في وقت مبكر.

* دعوا أبناءكم يبَرّون بكم:

يشكو بعض الأبناء البَرَرَة أن آباءهم لا يفسحون لهم المجال لخدمتهم والبِرّ بهم، وهذا كثير والله المستعان.

وقد وقعت لي قصة عجيبة؛ وذلك أني زرت أحد القضاة الزملاء قبل سنوات طويلة، وله ولد أعرفه بارًّا بوالديه، وهو

على سَمْت والِدِه، وقد تخرّج من الجامعة، ويعمل في وظيفة مرموقة، فأسرَّ إليّ الابن بكلمة اقشعر لها جلدي، وقال: الوالد يحرمنا أن نقوم بِبِرّه، بل ويتصرف ببعض التصرفات التي يفهم منها الغريب -الذي لا يعرفنا- أننا أصحاب عُقُوق، وهو يُقَدِّرُك ويسمع منك، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله! ماذا تقول؟ فقال: سأُرِيك الآن، فقام الابن وأتى بالقهوة، ووضعها عند أبيه، فأخذها الأب وقام يَصُبُّ بنفسه، فأبيت أن أشرب من يده، وقلت: يا شيخ! دع ولَدَك هو الذي يَصُبُّ القهوة، فقال: أنا أُكرِم ضيفي، فقال الابن: يا أبتِ! ليس هو ضيفَك وحدَك، هذا طبعُك معنا يا أبتِ في البيت، حتى ولو لم يكن عندنا ضيوف؛ فأخذ الابن يشكو بمرارة.

مرّت السنوات بعد ذلك، ثم زرت هذا القاضي، وأستأذنته في ذكر القصة، فرغب أن لا أذكر اسمه، وقد ندم على ما كان منه، فقلت له: أين أولادك الآن؟ قال: هم في مدينة أخرى مشغولين بأعمالهم، فقلت: وماذا يفعلون معك؟ قال: والله إنهم الآن يبكون بكاء شديداً أني لم أسكن معهم في مدينتهم، وقالوا لي: قد تجاوزت السبعين من عمرك عش معنا يا أبي! تعبنا، فقلت: هم صادقون في ذلك وأنتم

تقفون حائلاً عن بِرّ أولادكم وخدمتهم لكم.

وقد عشت ورأيت بعيني، حتى مع بعض الأقارب، قضايا يطلب فيها الأبناء النصح لوالدَيهم، أن يفسحوا المجال لهم؛ لكي يَبَرُّوهم، فينبغي أن تدرك -أيها الأب- أن تعليمك لولدك وتربيته على بِرِّك هو من الإحسان إليه، فاتركه يخدُمك ويخدمُ ضيفك، واحتسب أن يَأْجُرَك الله تعالى في ترك هذه الخدمة؛ حتى تُفرِح ولدك وتُسعِدَه، وتُعِينَه على بِرِّك، وهو أيضًا دافعٌ لك لتدعوَ لابنك أو ابنتك.

* برُّوا آباءكم تبَرَّكُم أبناؤكم:

بِرُّ الرجل بوالدَيه ينعكس إيجابًا على بِرّ أبنائه به، قال ابن عاشور ﵀ في الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأحقاف:١٨] قال: (وفي إِدمَاج تَلْقِيْن الدعاء بإصلاح ذريته -مع أن سياق الكلام في الإحسان إلى الوالدين- إيماءٌ إلى أن المرء يَلْقَى من إحسان أبنائِه إليه مثل ما لَقِيَ أبواه من إحسانه

إليهما، ولأن دعوة الأب لابنه مَرْجُوَّة الإجابة)[١].

قال ﷺ: «بَرُّوا آباءكم تَبَرَّكُم أبناؤكم، وَعِفُّوا تَعِفُّ نساؤكم»، وفي سنده مقال [٢].

حين يراك أبناؤك منذ صغرهم وأنت تُقَبِّل يدَ أبيك وأمك ورأسَهما، ويرونك وأنت تكلِّمُهُما بصوتٍ منخفض وأدبٍ، ويرونك وأنت تحمل أحذيتهما لهما، وأنت تفتح الباب أمامهما، وأنت تَحرِصُ على رضاهما وسعادتهما؛ فإنهم سيقتدون بك في ذلك، وستَتَرسخ هذه السلوكيات فيهم؛ فتراهم بعد ذلك يفعلونها معك، وهذا من التربية العملية لأولادك على البِرِّ بك.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣).

(٢) المعجم الأوسط (١/ ٢٩٩) برقم (١٠٠٢)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٧٠) برقم (٧٢٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: السلسلة الضعيفة (٥/ ٦٢) برقم: (٢٠٤٣).

الخاتمة

أهمس في أذن كل والد أن يقرأ هـذا الكتاب، وفي أذن كـل ولد أن يقرأه على أبيه وأمه، لكي يُعِيْن كل واحد منهما الآخـر على البِرّ.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا الكتاب، ويـرزق مـن قرأه بِرّ والدَيه، ويوفق أبناء المسلمين وبناتهم؛ صغاراً وكبـاراً للبِرّ بآبائهم وأمهاتهم.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام ارزقنا بِرّ آبائنا وأمهاتنا أحيـاءً وأمواتـًا.

اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، واجعلنا بَرَرَة بهم يا رب العالمين.

اللهم لا تُلْحِق ذريتَنَا منّا حَرَجًا.

اللهم أصلح لنا الذُّرِّيات يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم بـارك لنـا في ذرِّيَتِنـا، ولا تحرمنـا بـركتهم وبـرَّهم يـاذا الجلال والإكرام.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

فهرس الموضوعات